٢٤

الدفاع عن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١)

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فإننا نسمع بين الحين والآخر بعض الطعونات والتنقص، ومحاولة التشويه

---

(١) تلقى هذه الخطبة حين يُطعن في نبينا ﷺ وتصلح في أي وقت .
ملاحظة : الخطبة طويلة شيئًا ما فعلى الخطيب أن يخطب منها بالقدر الذي يكتفي به ، فإذا جاء الوقت توقف وأنهى خطبته ، أو يختصرها ويحذف منها ما شاء .

بنبينا ﷺ من قِبَل أعداء الله وأعداء نبيه وأعداء الملة ، وهذا ليس وليد عصره وليس هذا حدثا جديدا ، فقد طعنوا فيه حال حياته فقالوا: شاعر وقالوا: كاهن وقالوا :مجنون وقالوا:مفترٍ إلى غير ذلك ، فلم يضروه شيئًا ومازاده الله إلا عزا ورفعة ، وما نقم منه الكفار إلا أن رفعه الله وأكرمه بالرسالة وجعل له المنزلة الرفيعة والمكانة العالية في الدنيا والآخرة وما ذاك إلا حسدا منهم لنبينا ﷺ وأمته قديما وحديثا فلجأوا إلى الطعن فيه.

وقد زكاه الله في كتابه، وأقسم على صدق رسالته، وشرح صدره، ورفع قدره ، فمهما نالوا منه أو تنقصوه فلن يضروه شيئًا ، وإنما ضروا أنفسهم، وكما قيل: «ما ضر السحاب نبح الكلاب».

قال الله تعالى في كتابه الكريم:﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٧ ﴾ [القلم:١-٧] .

أقسم الله في هذه السورة الكريمة بالقلم العظيم الذي كتب الله به الذكر أو كتب به مقادير كل شيء كما ذكر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأقسم بكل مكتوب: على تبرئة نبيه ﷺ مما نسبه إليه المبطلون أو طعن به المشركون أو تنقصه الملحدون، فبرأه مما نسبوه إليه من الكهانة والسحر والجنون وأكد سبحانه بأنه صاحب الخلق العظيم والقلب الرحيم وأن ما أوتيه نعمة من رب العالمين.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: يقسم تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام،التي تكتب بها أنواع العلوم،ويسطر بها المنثور والمنظوم، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، التي تستحق أن يقسم الله بها، على براءة نبيه محمد ﷺ ، مما نسبه إليه أعداؤه من الجنون ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ

﴿ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: عاليًا به، مستعليًا بخُلقك الذي من الله عليك به. اهـ

و برأه الله من الشعر والكهانة، فأقسم على ذلك بكل مشاهد وغائب فقال سبحانه: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ ﴾[الحاقة:٣٨-٤٢].

وقد شرح الله صدره ووسعه لحمل الرسالة وقبول الحق والإيمان، ومعرفة الهدى وسلوك سبيله.

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ ﴾[الشَّرح:١-٤] .

قال المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :أي: نشرح صدرك للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحق فقلبنا قلبك وجعلناه وعاء للحكمة. اهـ .

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومن جملة الشرح شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء والمعراج ، وما فعل بصدره وهو ابن عشرين سَنة من حادثة شق الصدر ، وأخرجوا من صدره كهيئة العلقة ، ووضعوا فيه الرأفة والرحمة ، ونزعوا منه الغل والحسد. اهـ ملخصًا.

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: نوسعه لشرائع الدين والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات فلم يكن ضيقًا حرجًا لا يكاد ينقاد لخير﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ﴾ أي: ذنبك، ﴿ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ﴾أي: أثقل﴿ ظَهۡرَكَ ﴾ كما قال تعالى:﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح:٢] . ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ ﴾أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله ﷺ، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر

رسوله محمد ﷺ.وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيًا عن أمته. اهـ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله :﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾: قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرتَ مَعِي: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله. وَقَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ اللهُ ذكرَه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتشهد وَلَا صاحبُ صَلَاةٍ إِلَّا يُنَادِي بِهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله.اهـ

ولكمال رسول الله ﷺ وعلو منزلته ، صلى عليه الله وملائكته وأمر خلقه بالصلاة عليه ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

والصلاة عليه هي الدعاء والثناء ، فهي من الله الرحمة ومن الملائكة الثناء ومن الناس الدعاء.

قال أبو العالية كما في صحيح البخاري: صلاة الله ثناؤه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء. اهـ

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صلوا عليه أي: ادعوا له.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله ﷺ، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ ﴾ عليه، أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى له، وتثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون. اهـ

فماذا ينقم الأعداء من نبينا محمد ﷺ فإنه خير من وطأ الحصى ، وهو سيد ولد آدم .

وهو صاحب الشفاعة العظمى في أرض المحشر التي يعتذر عنها أولو

العزم من الرسل.

وهو أول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يقرع باب الجنة لا يفتح خازن الجنة لأحد قبله .

وهو صاحب الوسيلة وهي أعلى مكان في الجنة.

وهو الذي بلغ سدرة المنتهى و لا يزال في الدنيا.

وهو صاحب الأخلاق العالية والخصال الحميدة والصفات السامية.

فلم يكن فاحشا ولا متفحشًا ولا سبابًا ولا لعانًا ولا صخابًا بالأسواق .

ولم يكن جبانًا ولا كذابًا ولا بخيلًا .

فماذا ينقم منه عبَّاد الأوثان والأصنام وعباد الأبقار والأقمار وعباد الفئران والفروج أهانهم الله فصاروا عبيدًا لأراذل الأمور ، وأخس الأشياء وأحقرها. غرتهم دنياهم فأعجبوا بها ، فعسى الله أن يعذبهم بها ، كما قال تعالى:﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة : ٥٥] .

فمهلاً أيها الأعداء ، وصبرًا أيها المسلمون فإن الله تعالى يقول:﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران : ١٧٦ - ١٧٨] .

فلقد كان نبينا ﷺ ذا خُلق حسن مع الصغار والكبار،ومع الأغنياء والفقراء، ومع الأقوياء والضعفاء، يمشي مع الفقير ويداعب الصغير، ويعطف على الكبير، كان خُلقه القرآن الكريم .

سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَتْ:

أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: « **فَإِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ الْقُرْآنَ** » رواه الإمام أحمد .

وهو القائل ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخلَاقِ** ». رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهو القائل ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ أسوؤكم أَخْلَاقًا، والثَّرْثَارُونَ، والْمُتَفَيْهِقُونَ والْمُتَشَدِّقُونَ**». رواه أحمد والترمذي عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فانظر إلى صاحب الخلق الكريم يحب أصحاب الأخلاق الكريمة وهم أقرب منه يوم القيامة ، ويكره أصحاب الأخلاق الذميمة وهم أبعد منه يوم القيامة ، فماذا ينقم منه الأعداء قبحهم الله؟!.

وروى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُقال: خَدَمْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تِسْعَ سِنِينَ فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ. وفي رواية عند البخاري : «عشر سنين».

ـ وأما كرمه ﷺ فلقد كان أكرم الخلق فكان يقري الضيف ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق ويعطي المحتاج ويغيث الملهوف.

ففي الصحيحين عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « **مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ : لَا** ».

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ:

مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشَهُّدِهِ لَوْلَا التَّشَهُّدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ

وقد كان من جوده وسخائه أنه يعطي عطاءً لا يخشى الفقر ، وهو الذي كان لا يوقد في بيته النار الشهر والشهران لكنه كان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة وكان كالغيث للأرض المجدبة والمنعمة.

ففي صحيح مسلم عن أَنَسٍ بن مالك، قَالَ: « مَا سُئِلَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً ما يَخْشَى الفقرَ «.

وهو القائل ﷺ: « **لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلاَ كَذُوبًا، وَلاَ جَبَانًا**» رواه البخاري عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فماذا ينقم الكفار من نبينا ﷺ.

وأما شجاعته فلقد كان أشجع الناس ولقد كان قائدا مغوارا وكان خبيرا بالحروب وكان يكون في مقدمة الجيش وكان يثبت إذا فر الناس ويتقدم نحو العدو وإذا حمي الوطيس اتقى به أصحابه فيكونون دونه وفي غزوة حنين لما انكشف المسلمون ركض ببغلته نحو العدو وهو يقول: «**أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ**» .

روى الإمام البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ ، رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ ، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدِ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ وَهْوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهْوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا ثُمَّ قَالَ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا ، أَوْ قَالَ إِنَّهُ لَبَحْرٌ.

وفي الصحيحين أيضًاعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلا جاء إليه فَقَالَ: أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا وَلَّى، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ، وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ، وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ، فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ، فَانْكَشَفُوا، فَأَقْبَلَ

الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ، وَهُوَ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، اللهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ»، قَالَ الْبَرَاءُ: «كُنَّا وَالله إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-».

وروى البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أقبلِ يمشي، حتى استلم الرُّكْن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلمّا أنْ مرَّ بهم، غمَزوه ببعض ما يقول، قال: فعرفتُ ذلك في وجهه، ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثانيةَ، غمزوه بمثلها، فعرفتُ ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مرَّ بهم الثالثةَ، فغمزوه بمثلها، فقال: «تَسْمعونِ يا معشر قريش، أمّا والذي نفْس محمَّد بيده، لقد جئتُكم بالذبْح» .

فأخذَت القومَ كلمته، حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفَؤُهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ انْصَرِفْ رَاشِداً فَوَالله مَا كُنْتَ جَهُولاً.

وأما خِلقته ﷺ فلقد كان أحسن الناس وجها كأنه مذهبة وكان أجمل الناس كأنه القمر ، ليس بالطويل ولا القصير ، شَعْرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ وَلَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ وَلَيْسَ بِالآدَمِ وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ ، وَلاَ بِالسَّبْطِ بَعَثَهُ اللهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَتَوَفَّاهُ اللهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ.

وروى الترمذي عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَإِلَى القَمَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ القَمَرِ.

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: «مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلاَ دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلاَ شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-» .

وروى الترمذي:عن أنس قال :»خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍ قط وما قال لشيء صنعته لمَ صنعته ولا لشيء تركته لمَ تركته وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ».

وأما رحمته ﷺ وشفقته فقد كان أرحم الناس وأرأفهم فلقد كان رحيمًا حتى بالحيوانات عليه الصلاة والسلام قال تعالى:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨] .

وقال تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[آل عمران:١٥٩].

ومن رحمته أنه لما عرض عليه ملك الجبال أن يطبق على كفار قريش جبلين عظيمين في مكة فأبى رحمةً بهم ولعل الله أن يهديهم أو يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله .

فقد روى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ

مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .

فيا أيها الناس: إن أعداء الدين قد نالوا من نبينا ﷺ أشد النيل قديمًا وحديثًا وآذوه أشد الأذى فقد وضعوا سلا الجزور على كتفه الشريف وهو ساجد وكادوا أن يقتلوه فسلمه الله.

ففي صحيح مسلم عَنِ ابْنِ مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ

الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**» - وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ - فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ - قَلِيبِ بَدْرٍ -».

« والسَلَا» هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوانات.

وروى البيهقي عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال في حديث طويل: ... ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجاميع ردائه وقام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبكي ويقول: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ [غافر: ٢٨].

وروى الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي الله، وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي الله، وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ**».

قال المناوي في معنى الحديث :أي هُدِدت وتُوعِدت بالتعذيب والقتل بسبب إظهار الدعاء إلى الله تعالى وإظهار دين الإسلام «وما يخاف أحد» أي: خوفت في الله وحدي وكنت وحيدًا في ابتداء إظهاري للدين فأذاني الكفار بالتهديد والوعيد الشديد فكنت المخصوص بينهم بذلك في ذلك الزمان ولم يكن معي أحد يساعدني في تحمل أذيتهم.اهـ.

أوذي نبينا ﷺ حيًّا وميتًا ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كفاه ودافع عنه حيًّا وميتًا.

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[الحج:٣٨] ، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحجر:٩٥].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا وعد من الله لرسوله ﷺ، أن لا يضره

المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة. وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة. اهـ

وتوعد الله كل من آذى نبيه أو تنقصه أو استهزأ به باللعن والطرد من رحمته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾[الأحزاب:٥٧] .

هذا هودفاع الله عن نبيه.

فيجب على المسلمين أن يدافعوا عنه ﷺ ، بالسيف والسنان وبالحجة والبرهان، فأما السيف والسنان فيكون بقتال أعداء الله وأعداء رسوله، وأعداء المسلمين ، وأما بالحجة والبرهان فيكون بنشر دعوته وسيرته وفضائله، والعمل بسُنَّته ﷺ ، والدفاع عنها ، والدعوة إليها ، ويكون ذلك بالقلم واللسان ، ولا عذر لأحد في هذا فإنه بمقدور كل مسلم أن يفعله والله المستعان.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله، ولي الصالحين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، إمام الأولين والآخرين وسيد الأنبياء والمرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، بعثه الله رحمة للعالمين ، وبشيرًا للمؤمنين ، ونذيرًا للكافرين ، وداعيًا إلى رضوان رب العالمين ، وإلى جنات النعيم ، ونذيرًا من نار الجحيم ، فتح الله به آذانًا صمًا ، وأعينًا عميًا، وقلوباً غلفًا ، وألسنةً بكمًا ، تركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين ، فصلوات ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيقول الله في محكم التنزيل: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزُّمَر:٣٦] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾، يعني: محمدًا ﷺ. وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: أليس من كرمه وجوده، وعنايته بعبده، الذي قام بعبوديته، وامتثل أمره واجتنب نهيه، خصوصًا أكمل الخلق عبودية لربه، وهو محمد ﷺ، فإن الله تعالى سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من ناوأه بسوء. اهـ

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد دافع عن نبيه ﷺ ولا زال يقيض رجالاً يدافعون

عنه وعن دعوته، ويحيون سُنَّته ويذودون عن حياضه ويدافعون عن عرضه الشريف بعد موته ويبذلون في سبيل ذلك الغالي والنفيس، وسنذكر بعض النماذج والأمثلة في دفاع الله عن نبيه في حال حياته وكيف أهلك الله كل من استهزأ به بعد موته كما وعده ربنا في كتابه الكريم.

قال تعالى: ﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾[محمد:١٠] .

وقال تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة : ٦١] .

وفي هذه الدقائق نذكر بعض الأمثلة في دفاع الله عن نبيه بإهلاك المستهزئين به :

* فهذا أبو جهل-لعنه الله- الذي كان يؤذي رسول الله ﷺ،فقد قتله الله يوم بدر ، إذ سخر له غلامين صغيرين قتلاه ، وهما معاذ ومعوذ ابنا عفراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، كما في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وكان له موقف مخز ، وهو أنه أراد أن يطأ على رقبة النبي ﷺ وهو ساجد ، فلما تقدم نحوه رجع القهقراء خائفًا مذعورًا خائبًا ذليلاً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾[الحج:٣٨] .

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» قَالَ: فَأَنْزَلَ

اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾ [العلق: ٦-١٧].

وكذلك عمه أبو لهب -لعنه الله- كان يؤذيه ويصد عنه وعن دعوته، فأنزل الله فيه سورة، تتلى إلى يوم القيامة ذمه فيها، وأخبر بأنه هو وامرأته في نار جهنم، قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾[المسد: ١-٥].

وقد روى البيهقي وأحمد عن رَبيعَة بْن عِبَادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي المَجَازِ، وَهُوَ يَقُولُ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا ». وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ، أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَذَكَرُوا لِي نَسَبَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَالُوا لِي: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ.

ولقد مات أبو لهب شر ميتة ،إذ قتله الله بمرض العدسة، وهو مرض خبيث كانت قريش تتقيه كما يتقي الناس الطاعون، ولما مات تركه بنوه ليلتين أو ثلاث لم يدفنوه، حتى أنتن في بيته، حتى قيل لأبنائه: ألا تستحيان؟ . ذكره البزار رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: مات أبو لهب -لعنه الله- بالعدسة، بحيث لم يقربه

أحد من أقاربه ،وإنما غسلوه بالماء قذفًا من بعيد ورجموه حتى دفنوه. اهـ

* وأما كسرى الذي مزق كتاب رسول الله ﷺ فقد مزق الله ملكه بينما قيصر أكرم كتاب النبي ﷺ وأكرم رسوله فبقي له ملكه.

فقد روى ابن سعد عن جمع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، أن النبي ﷺ بعث كتابًا إلى كسرى فأخذه فمزقه فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «اللهم مزق ملكه». والقصة في صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وأما قصة قيصر فهي في الصحيحين عن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ـ وهذا رجل من فراعنة العرب يستهزئ بالله ورسوله ﷺ فأرسل الله عليه صاعقة فقتلته .

فقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾[الرعد:١٣] ، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ بعث رجلا إلى رجل من فراعنة العرب فَقَالَ: «اذْهَبْ فَادْعُهُ لي». فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «اذْهَبْ فَادْعُهُ لِي». قَالَ: فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَدْعُوكَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فَقَالَ لِرَسُولِ رَسُولِ الله: وَمَا اللَّهُ؟ أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ؟ أَمِنْ فِضَّةٍ هُوَ؟ أَمِنْ نُحَاسٍ هُوَ؟ قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِ الثَّانِيَةَ». فَقَالَ لَهُ مِثْلَهَا، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِ فَادْعُهُ». فَرَجَعَ

إِلَيْهِ الثَّالِثَةَ، قَالَ: فَأَعَادَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْكَلَامَ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ بَعَثَ الله سَحَابَةً حِيَالَ رَأْسِهِ، فَرَعَدَتْ، فَوَقَعَتْ مِنْهَا صَاعِقَةٌ، فَذَهَبَتْ بِقَحْفِ رَأْسِهِ، فَأَنْزَلَ الله ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾[الرعد: ١٣] الْآيَةُ وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ ؟ ، بلى إن الله قد كفى عبده ورسوله ﷺ ، وسيكفيه فيما بقي بعد موته.

ومن دفاع الله عن نبيه أن حفظه من كفار قريش عام الهجرة وقد جمعوا له الجموع وبذلوا في قتله المئات من الإبل ومروا عليه وهو في الغار هو وصاحبه أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فأعمى الله أبصارهم وردهم خائبين.

وكان من ضمن من طاردهما وأراد العثور عليهما سراقة بن مالك بن جعشم قبل إسلامه فقد تبعهما فأدركهما فغارت فرسه في الأرض فرجع سراقة وقد قذف الله في قلبه الهداية للإسلام لما رأى من دفاع الله عن نبيه ﷺ.

فقد روى البخاري عن سراقة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا: أَضُرُّهُمْ أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ، فَخَرَجَ الَّذِي

أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلاَنِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا».

فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. الحديث.

* وممن قتله الله ممن كان يؤذي النبي ﷺ الحارث بن قيس وكان يقول محمد غر أصحابه أنهم سيبعثون فأكل حوتا مملوحا فما يزال يشرب حتى مات وامتلأ رأسه قيحًا فمات شر ميتة ، ذكره بعض المفسرين.

* وكذلك العاص بن وائل السهمي كان يؤذي النبي ﷺ وكان يقول: إن محمدًا منبتر مقطوع الذرية، وسيموت وينتهي أمره فنستريح منه، فأنزل الله فيه :﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾[الكوثر: ٣] .

فقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أن قوله تعالى:﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ نزلت في العاص بن وائل -لعنه الله- » .

وذكر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ أنها نزلت فيه وقد أصيب بشوكة في رجله، فانتفخت حتى صارت كعنق البعير فمات.

* وهذه قصة ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني وذكرها الذهبي في معجم الشيوخ بإسناد صحيح أن الله سلط كلبًا على صليبي كان يطعن في النبي ﷺ فوثب عليه الكلب فعظه في رقبته فاقتلع حلقه، فمات لعنه الله.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ذات مرة توجَّه جماعةٌ من كبار النصارى لحضور حفلٍ مغوليٍّ كبير عُقِد بسبب تنصُّر أحدِ أمراءِ المغول، فأخذ واحدٌ من دُعاة النصارى في شتم النبي - ﷺ -، وكان هناك كلبُ صيدٍ مربوط، فلما بدأ هذا الصليبيُّ الحاقد في سبِّ النبي - ﷺ - زمجر الكلبُ وهاج، ثم وثب على الصليبي وخَمَشه بشدةٍ، فخلَّصوه منه بعد جَهْدٍ.

فقال بعض الحاضرين: « هذا بكلامك في حقِّ محمد - ﷺ -فقال الصليبيُّ: كلاَّ، بل هذا الكلبُ عزيزُ النفس رآني أُشير بيدي، فظنَّ أني أُريدُ ضربه، ثم عاد لسَبِّ النبيّ - ﷺ - وأقذع في السبِّ، عندها قطع الكلبُ رِباطَه ووثب على عُنق الصليبيِّ وقَلَع زَوره في الحال، فمات الصليبي من فوره، فعندها أسلم نحوُ أربعين ألفًا من المغول» .

وقال الذهبي شاهد هذه القصة جمال الدين : وافترسه الكلب والله العظيم وأنا أنظر ثم عظ على الصليبي زردمته أي حلقه فاقتلعها فمات الملعون ثم اشتهرت الواقعة.اهـ

فهذا الكلب خير من هذا الحاقد ، بل صار الكلب خيرًا من جميع الحاضرين أو أكثرهم إذ لم يدافعوا عن المصطفى ﷺ ودافع عنه الكلب وصار سببًا في إسلام الكثير منهم.

فانظروا ياعباد الله :كيف عرفت الحيوانات فضل نبيكم وعظمته ، بل والجمادات عظمته وعرفت قدره ومنزلته ، فضلاً عن بني آدم!.

فكانت تسلم عليه الأحجار ، وتستجيب له الأشجار ، وتحبه الجبال ، فلا خير في رجل لا يعرف حقه ﷺ.

فهؤلاء الذين يقعون في نبينا ﷺ أضل من الأنعام وأحقر من الحميرو

الكلاب ، بل هي أفضل منهم تسبح لله وتعظم النبي ﷺ.

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف : ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة : ٥].

وقال تعالى عن ذلك المنحرف عن دين الله : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[الأعراف : ١٧٦].

ودفاع الله عن نبيه ﷺ كثير حيًّا وميتًا.

فما هو موقف المسلمين من نبيهم الكريم وكيف يدافعون عنه؟.

فإن أعظم ما يدافعون به عن نبيهم هو نشر سُنَّته والعمل بها ، فهذا أشد على الكفار من الضرب بالحديد والنار ، فإنهم لا يخافون من القتال ، ولكنهم يخافون أن يتمسك المسلمون بدينهم ، وأن يعملوا بسُنَّة نبيهم ، ولذلك فإنهم يسعون جاهدين في محاربة الدين وإزاح المسلمين عن سُنَّة نبيهم الكريم بإدخال الأفكار الغربية والانظمة الوضعية إلى بلاد المسلمين عبر القنوات والصحف والمجلات، وعبر المستشرقين والمغتربين من المسلمين في بلاد الكافرين، ويفرحون بالبدع والحزبيات في بلاد المسلمين ، ويشجعون أهلها ويبذلون الأموال الطائلة في سبيل نشرها ، لأنها حققت مآربهم ، ففرقت بين المسلمين ، وجعلتهم شَذَرَ مَذَرَ ، فصارت كل فرقة تكيد للأخرى ، فانشغلوا

بأنفسهم ونسوا عدوهم.

فليس من الدفاع عن رسول الله ﷺ إقامة المظاهرات ، وإحداث البدع والمحدثات ، ففي هذا تشبه بالكفار ، وفي هذا إظهار للضعف عند المسلمين، وهذا لا يزيد الطين إلا بلة ، ولا يمت إلى الإسلام بصلة، بل هذا يفرح الكفار، ويزداد عداؤهم على الإسلام والمسلمين ، لأن المظاهرات تعبر عن ضعفهم، وهي طريقة غربية يضحك بها الكفار على المسلمين وليست من ديننا.

فإن من المدافعة عن رسول الله ﷺ هي مقاطعة أفكار الكفار وأنظمتهم وقوانينهم ، وعدم الأخذ بعاداتهم وتقاليدهم ، وعدم التشبه بهم في جميع معاملاتهم الخاصة بهم ، والتي ليست من ديننا.

كيف سَننتصر لرسول الله ﷺ ؟ ، وكثير من أبناء المسلمين يقلدون الكفار في مأكلهم ومشربهم وملبسهم وكلامهم وفي قصات شعورهم! وتجد بعضهم يعظم اللاعب الفلاني ـ الكافر بالله رب العالمين ـ ، ويشيد به أكثر مما يعظم بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، بل تجد بعضهم يحفظ أسماء كثير من الكافرين والممثلين والمغنيين ، وتجده لا يحفظ خمسة من أسماء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بل بعض شباب المسلمين لا يعرف من هم الخلفاء الأربعة ! ، وهذه مصيبة على المسلمين، فنحتاج أن نراجع ديننا ، وأن نتمسك به ، وأن نعلم أجيالنا العقيدة الصحيحة والمنهج السليم.

فيا عباد الله ، لا ينفع الصياح بالشوارع كالمجانين ولا ينفع مقاطعة منتجات الكافرين ، فلا دليل على ذلك ، ولا يجدي ذلك شيئًا ، ولا يحرم علينا شراء ما نحتاجه منهم مما أباح الله ، وإنما الذي ينفع بإذن الله هو التمسك بالكتاب والسُّنَّة على فهم سلف الأمة.

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يردهم إلى دينهم ردًا جميلاً.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم عليك بمن شتم نبينا ، أو تنقصه أو نال من عرضه، اللهم اجعل كيده في نحره، واجعل الدائرة تدورعليه، وأرِنا فيه عجائب قدرتك ،اللهم سلط عليه من شئت من خلقك، وأرسل عليه صاعقة من سمائك، يا قوي يا متين.